تفريغ مادة مرئية بعنوان

كتاب حاتم العوني والرد على المسعري

.

١٣/٧/٢٠١٧ – ١٩ شوال ١٤٣٨

مدة المادة: ٢١:٠٤

الشيخ

أبو قتادة الفلسطيني

حفظه اللّه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل السائل: هل يشترط للحكم بكفر من دعا غير الله أن يعتقد فيه الربوبية؟؟ وهذا ما يدعو إليه ويروج له حاتم العوني والمسعري: كون أن العبادة لا تسمى عبادة حتى يعتقد في المعبود الربوبية.

في الحقيقة: حاتم العوني أخرج رسالة صغيرة.. يعني: فقط ذكر ما عنده من غير أدلة ولا مناقشة المخالفين، مع عظم ما عند المخالفين من أدلة، وهي الصواب.. أي: أن المخالفين له هم المصيبون، وليس هو.

وأما المسعري: فقد -يعني- ناقشت كتابه "التوحيد" في مشروع ألف كتاب قبل الممات؛ وللأسف أخذه أتباعه على معان -كما أخذه هو للأسف، لأن القائد -وكذا المسؤول والعالم والمرجع والمفكر ورب البيت- تسري أخلاقه في أتباعه.. هذا أنا ذكرته واستشهدت بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عندما قال له: «**لو أخذت الخمر لغوت أمتك**» وكما في حديث قتل الوزغ قال: «**لأنها كانت تنفخ على النار على إبراهيم**» سرت في الأتباع والأبناء إذا مشوا على نفس الطريقة ونفس المنهج ونفس العقلية- وللأسف: لم ينتبهوا، وتكلموا كلامًا باطلًا، وزعموا أشياء لم أحلم بها في منامي.. مثل القول: بأن مناقشة الكتاب -آسف أن أستطرد في هذا الباب.. لعلها تكون إن شاء الله عبرة لي ولإخواني- أنني ناقشت الكتاب وقت محاكمته!! وأشهد الله العظيم رب العرش العظيم لم أعلم إلا بعد أن ذكروا هم.. يعني: أنا ناقشته في جلستين، ولم أعلم أن هناك محكمة تعقد للدكتور المسعري إلا بعد أن ذكروا هم بعد الخروج وردهم علي.

وللأسف: وجدته هو نفسه يردد هذا، مع أنه يعني علمت أن هذا شيء من الشعبوية.. للأسف هو خروج طالب العلم من نقاش العلم إلى النقاش الشعبوي، يعني: السب والشتم وإنزال الخصم منازل السباب غير منازل العلم..

ثم رأيته يزعم بأنني -وضحك الشيخ- أردد ما يقوله العلمانيون الملاحدة: بأن الإله صناعة إنسانية!! وهذا يعني رددت على هذه النقطة، ولكن لا بأس أن نستطرد فيها الآن.

الإله كما هو عند العلماء -وأنا أنبه هنا على خطأ وقعت فيه.. أنا لم أجد عالمًا قط.. لا من القدماء ولا من المحدثين ولا من الوسط.. ولا عالم- قال: بأن "الإله" أصل مادتها هو نسبة الصفات الذاتية إليه، وأن الرب هو المعبود.. هو -أي: المسعري- قلب الصورة، لأنه يريد أن يرد على ابن تيمية وابن القيم، وزعلان من ابن عبد الوهاب، ولا يريد هذه المدرسة كلها.. يغضب عليها لمسائل سياسية.. فهو قلب الصورة وزعم أن ابن تيمية أتى بشيء جديد!! فمادة "الإله" عنده هي: ما نقوله نحن مادة "الربوبية"، وهي إثبات الصفات له بأنه الخالق والبارئ والمصور والمحيي والمميت؛ فجعل الألوهية في هذا الباب، وجعل الرب -كلمة الرب- هو المألوه

وهو المعبود!! وهذا يناقض اللغة.. مادة "إله" أصلًا -كلمة إله- ليست كذلك.. هي فعل العابد لمعبوده، والرب هو فعل المعبود لعابده، يعني: عمل الخالق لمخلوقه.. هذه هي المادة مادة اللغة.. يفهمها كل أحد.

ولكني قلت: أنا لم أجد، وقلت في ذلك الوقت -يعني- جازمًا أني لا أعرف عالما، لأن اللغة ستحكم أي عالم؛ ولكن أحد طلبة العلم أرسل لي رسالة لبعض أحفاد المدرسة الأثرية في الهند يقول فيها هذا القول، وهذا ربما سقط قلم منه أو خطأ منه، لأن هذا لا يقوله أحد.. وهذا معاصر يعني.. أظنه من أحفاد أحمد عرفان الشهيد أو من أحفاد ولي الله الدهلوي.. الآن لا أذكر الاسم بالتمام.. وهو كتيب صغير.. يعني يستطيع طلبة العلم الرجوع إليه إذا أرادوا أن يحققوة المسألة وينقحوا ما فيها، مع أن هذه المسألة في اللغة لا تستقيم.

فهو زعم بأني أيدت الملاحدة في أن الإله -بمعنى الرب- صناعة بشرية!! كما يقول أفيون كما يقول الملاحدة: أن الإله غير موجود، ولكن الإنسان صنع إلهه، أي: صنع ربه، والخالق غير موجود.. وهذا كذب.. لم أقل هذا.. نعم، أنا قلت: الإنسان يصنع إلهه، وليس يصنع ربه؛ ولكن الأمر مختلط في ذهن الدكتور: كيف يرد، وكيف يفهم كلمة المخالف على وجهها الذي يريده هو -القائل- وليس أنت.. كما فهمتها أنت.. وتنزل عباراتي أنا على كلامك أنت على مفاهيم العبارات عندك.

"الإله" هو فعل العابد لمعبوده، وبالتالي: الإنسان يصنع معبوده.. الذي جعل البقرة إلهًا هو الذي صنعه.. الذي جعل الإله الذي يتعبد له ويتأله له هو الحجر والوثن والذباب والشمس والقمر والأصنام وكذا، فهو صنعه.. نعم، بلا شك هو صنع بهذا المعنى؛ ولكن الخالق سواء نفاه المخلوق أو لم ينفه فهو حقيقة، وهو الحقيقة التي لا حقيقة فوقها، وهذه الحقيقة هي التي بها تثبت بقية الحقائق -يعني: لا يثبت وجوده بوجود غيره، ولكن وجوده يثبت وجود غيره- لأنه الحق جل في علاه -هذه أمر عليها بسرعة-.

النقطة التي يدورون حولها في أنهم يزعمون أنه يوجد التعظيم لدرجة العبادة، لأنه ليس أي تعظيم عبادة..

وأنا أحب لطالب العلم أن يقرأ كتاب "مفهوم العبادة" للشيخ عبد الرحمن المعَلّمي، فهو كتاب توسع فيه وأتى بأشياء عظيمة جدًا.. حاول جاهدًا، وقد بلغ مبلغًا طيبًا.. يمكن أن يزاد عليه، يعني: أنا وجدت فيه أمورًا تحتاج إلى تنبيه عليها، مع أن الكتاب عظيم؛ وهو أراد أن يثبت ما يقوله أهل السنة بغير الطريق التي يعتمدها المتأخرون -المدرسة النجدية مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله- وهي اعتماد صحيح فيما يفعلونه، لكن هو أراد أن يذهب للقرآن ولا يلتفت إلى ما يقولونه، لأنه -في الحقيقة- عاش في الهند، فأراد أن يثبتها من خلال دراسةٍ جديدة يصل إلى الحقائق التي يقولها شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ويقولها قبله ابن جرير الطبري، ويقولها قبله الصحابة والتابعون، وهي من كتاب ربنا بينة جلية واضحة؛ فهذا كتاب جيد

وطيب.. وقال –مرات– كلامًا عجيبًا، وربما آتي إليه في يوم من الأيام إن شاء الله، لأنه كتاب يستحق الجلوس والمباحثة في فقراته وما خرج فيه من مقررات.

أقول: هل يوجد أحد يعظم أحدًا لدرجة الاستغاثة في الغيب والحضر، ويخشاه في الحضور والغيب، ويرجو رحمته ويخشى عذابه، ثم يقول بعد ذلك: أنا لا أعتقد فيه الربوبية.. لا أعتقد فيه الفعل الذي أعتقده في الإله من القدرة المطلقة والسمع المطلق وغير ذلك؟؟!!! هل يستطيع أحد؟!! لا يمكن.. لا يمكن لأحد أن يقول: أنا أدعو صاحب القبر هذا –الذي صار في التراب، وصارت عظامه نخرة– أو رجل يعيش هنا في مصر، ثم يستغيث به رجل في اليمن أو رجل في خراسان، ثم يقول مع ذلك: يُتصور في هذه الحالة أن لا يعتقد فيه ما يعتقد في الرب من صفات تليق بالرب وهي مطلقة، يعني: أنه يسمع –يستغاث به واحد في المشرق وواحد في المغرب في نفس الوقت مع تباعدهما– كل مناد، وأن يجيب كل مستغيث.. هل يوجد هذا؟!! لا يوجد.

ولذلك أريد أنبه أولًا: لا يُتصور التعبد من غير اعتقاد.. لا يُتصور؛ ولكن فرق بين التفسير وبين الاشتراط.. هذه نقطة مهمة.. نمثل لهذه المسألة:

عندما يقول الله عز وجل عن الكافر الذي كفر: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ﴾ ماذا قال؟ انظر الآية التي بعدها بعد ذكر عذر الإكراه ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ثم قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ﴾ فهنا القرآن يفسر ولا يشترط.. فرق.. القرآن يفسر حقيقة هذا الفعل، في أن يكفر المرء كفرًا من غير إكراه ويطمئن قلبه إلى الكفر –حتى كلمة "الاطمئنان" سأشرحها، لأنها مثالٌ آخر لقضية الفرق بين التفسير وبين الاشتراط– عندما يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ﴾..

هل يوجد عالم اشترط هذا الشرط من أجل تكفير الكافر بعد إسلامه؟؟! يقول: علينا أن نتحقق: هل استحب الحياة الدنيا على الآخرة؟ فمن فعلها من غير محبة الدنيا على الآخرة، وإنما فعلها لشبهة عرضت له، وهو صادق في شبهته، ولم يستطع لها ردًا، فكفر بالله وكفر برسول الله ونقض أصل الإسلام ونقض أصل النبوة.. فأنا لا أكفره حتى يثبت لدي أنه استحب الحياة الدنيا على الآخرة؟؟!!! هل يوجد مسلم يستطيع أن يقول هذه الفِرية؟؟!! هل يوجد أحد له مسكة من عقل –أو قراءة لكتابٍ علمي، ولو يسير– يقول بهذا الشرط؟!!

هذا افتراء.. القرآن يفسر دافع هذا الكفر.. قد يوجد غيره: قد يكون الرجل لا يريد الحياة الدنيا، ولكن –كما قلنا– لشبهة عرضت له في أن محمدًا ليس رسول الله.. في أن القرآن شبهة له.. جاءه جاهل آخر –كما يفعل النصارى– وقال: في القرآن –مثلًا– يوجد أخطاء نحوية.. ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ كذا.. القرآن فيه أخطاء

نحوية.. القرآن لا يعرف المرفوع من المنصوب، وبالتالي: القرآن باطل!! فيقول أحد: هذا لا يكفر، لأنه لم يكن دافعه استحباب الحياة الدنيا على الآخرة!!.. جاهل.. القرآن يفسر ما وقع من الأغلب من الناس، ولكن الحكم يبقى معلقًا بماذا؟؟ معلق بدليله.. معلق بأمارته.. معلق بالفعل كما هو بَيِّن عند الناس..

ولذلك: أنتم تجدون المسعري مع تخبطه -وهذا ذكرته، ولكن أكرره للضرورة.. الناس لا يحبون سماع المناقشات الطويلة- المسعري لا يشترط هذا الشرط في الحاكمين بغير الشريعة..

وهذا اشتراط يقوله أهل الإرجاء.. يقوله المنافحون عن الحكام.. سواء كان بجهل أو بهوى أو بتقليد.. يقولون: لم نر أن هؤلاء الحكام يعتقدون في المشرعين الربوبية!! بمجرد أنهم ألهوهم ووضعوهم مكان المشرع فقد فقد ألهوهم -أي: عبدوهم- سواء وجد هذا المعنى من الاعتقاد أو لم يوجد..

البرلمانات الآن: الناس يعتقدون أنهم أوسخ خلق الله.. وهم يشرعون ويأخذون تشريعاتهم ويلتزمون بها.. هل ترى القاضي الذي يحكم بما يقوله مجلس التشريع الكفري، هل تراه يقتنع بان هذا مجلس التشريع أنهم حكماء، وأن فيهم نفحة إلهية علينا أن نطيعها؟؟!! لا.

المسعري لا يقول: بأن تخلف هذا الشرط -وجود اعتقاد الربوبية في المشرع- يمنع إلحاق حكم الكفر عليهم؛ فلماذا يشترط في هذا؟!!

نحن نقول -أرجو أن تكون هذه بينة في هذا الباب- التالي: إننا لا نتصور عابدًا من غير اعتقاد، ولكن شرط الاعتقاد هذا تفسيري وليس شرطًا.. هذا شرط من عندكم.. الشارع يقول: رجل يأتي إلى قبر.. يأتي حاملًا زاده وطعامه.. وحاملًا غنمه وإبله.. يأتي إلى قبر من القبور ويذبح عليها ويقول: يا عبد القادر، أو: يا سيدي البدوي، أو: يا سيدي الأسمر -كما في ليبيا- وكذا من القصص المخزية في هذا الباب؛ فيأتي ويقول: نعم، لابد أن نسأله: هل تعتقد فيه أنه إله؟؟ -وضحك الشيخ- كما يقول المسعري.. هو -في الحقيقة- اعتبره إلهًا، ولكن -كما نقول نحن- لابد من أن نقول: هل تعتقد فيه الربوبية؟؟ هل تعتقد أنه هو الذي يخلق؟؟ يقول: لا، لا يخلق..

نأتي إلى نقطة أخرى الآن.. كما نرد فيه على الروافض، ونرد فيه على هؤلاء -عباد القبور- وغيرهم، الذين يشركون شركًا مخرجًا من الملة بلا مثنوية.. فماذا يردون؟؟ يردون: لا، نحن نعتقد أن هؤلاء قومٌ صالحون والله أعطاهم ميزات.. تعرفون: هذا هو أساس الكفر.. هذا هو كفر قريش.. كيف؟؟ لا يوجد إلا القليل.. وهذا قاله شيخ الإسلام.. هم يظنون أن شيخ الإسلام لا يعرف مذاهب القوم!! وهو رجل يعني عايش المذاهب وقرأها وكذا..

ولكن للأسف -هنا نأتي إلى نقطة قبل أن نستطرد- أن المتأخرين أطلقوا عبارات ممجوجة مثل قول "نحن نكفر بلا اعتقاد" نحن نقول: لا يوجد تكفير بلا اعتقاد.. لا يوجد.. ولكن كلمة الاعتقاد هذه تحتاج إلى ضبط؛ فلا يوجد أحد يذهب إلى القبر فيدفع له دون أن يكون معتقدًا فيه.. لا يوجد؛ ولكن فرق بين أن تقول.. الآن يأتون إلى تفسير الاعتقاد: لماذا فعلت ذلك؟ يقول: الله وضع فيه هذه الميزة.. يسمع ويجيب ووو الخ؛ يقول: إذا أنت تفتري على الله أنه جعل معه إلهًا آخر من أبناءه..

هذا هو اعتقاد بعض النصارى.. بعض النصارى يقولون: بأن الابن هو أقل من الأب، والذي أعطى سلطة الربوبية -أن يحيي ويميت، وينجي، ويخرج من النار وكذا- هو الأب.. أعطاها للابن؛ وبعض النصارى لا يقولون هذا.. يقول مثلا: الأب والابن وروح القدس كلها على مقدار واحد من الربوبية والقدرة، ولكن كثيرًا من النصارى لا يعتقدون هذا، ويقولون: الابن أقل.. كثير منهم يعتقدون أن الابن أقل.. طيب: من الذي أعطى هذا الأقل؟؟ يقولون: الأب أعطاه، يعني: الفرية الكبرى أن هذه الربوبية التي تميز بها هذا المعبود الذي صرفت إليه العبادة، أنه أعطيها من قبل الله، فيعتقدون أنه بمجرد أن الله أعطاه هذه القدرة فقد سلموا من الشرك؛ إذا جعلوا الأمر لواحد، وهذا هو الشرك كله..

هذه -للأسف- لم أجد في الحقيقة.. لا أذكر -يعني- من نبه عليها، وهو أنهم يقفون عند آية الزمر ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وهي نص قاطع ولا شك.. ينبغي أن يُعاد إليه وأن يحسم المسألة، ولكن هذه النقطة -على هذا الوجه- ينبغي التنبيه عليها: أن هؤلاء الذين يقولون -من الروافض، ومن العباد المشركين- بأن الله أعطى عليًا هذه القدرة، فلذلك: (خلص.. هو أعطاه وخلصنا من الشرك) علي عبد، ولكن الله أعطاه قدرة الربوبية: أن نستغيث به فيغيثنا، وأن نسأله فيسمعنا، وأن نخشاه فيحصل تجنب الضرر؛ هم هنا أشركوا وجعلوا مع الله إلهًا آخر، وافتروا على الله الكذب.. ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

يعني: أنتم تقولون: الذي أعطى الربوبية والإلهية أن نعبد غير الله.. الله أذن أن ندعو فلان.. الله أذن لنا أن نستغيث بفلان.. الله أذن لنا أن نخشى فلان خشية العبادة.. الله أذن لنا أن نحب فلان محبة العبادة.. فماذا أبقيتم لله؟؟

ولذلك: ما الفرق بينكم وبين الوجوديين الذين يزعمون الإيمان: أن الله خلق الكون وبعد ذلك تركه وقال: خلاص.. أنا أعطيتكم كل شيء فامشوا على طريقتكم، وهنا: الله أعطى علي بن أبي طالب.. وأعطى البدوي وأعطى فلان وأعطى فلان.. أعطاهم صلاحياته وقدراته وجعلهم يتحكمون في الكون.. نستغيث بهم ونعبدهم ووو الخ.

وهذا منتشر.. هنا تركب افتراء على الله الكذب، لأن قريش لم تكن تقول: هؤلاء استقلوا.. هذه الأصنام استقلت، ولكن تقول: الله أعطاهم هذا الفضل.. أعطاهم هذا الأمر.. نفس القضية، وهذا نجده في عباد القبور وغيرهم.

فإذًا: شرط الاعتقاد هذا هو شرط تفسيري –وأنا وعدت– مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ﴾ ماذا قال العلماء؟ قالوا: ﴿مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ﴾ ليس شرطًا، ولكنه وصف –انتبهوا– وهذه كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الصارم المسلول.

يعني: ما دام ذكر.. الدكتور المسعري سئل عن كتاب الصارم المسلول، فقال: قرأته لما كنت صغيرًا وأعجبت به، ولكن الآن تغيرت أفكاري وأحتاج أن اقرأه قراءة جديدة لأحكم عليه، لأنه خرج من سيطرة المدرسة –كما يزعم– السلفية والوهابية.. يعني انظروا إلى هذا الدافع!! هو دافع المناكفة، وليس دافع العلم.

فإذًا: لما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ﴾ هل يُتصور لرجل أن يكفر من غير إكراه إلا وهو مطمئن؟!! لكن لا نقول نحن: هل اطمئننت؟؟ هل أنت مرتاح؟؟ هل ارتحت لهذا الكفر؟؟ هل لا تجد في نفسك اضطرابًا ونحوه، مع أنك سببت.. ومع أنك كفرت.. ومع أنك قلت.. هل لم يطمئن؟ علينا أن نشق على قلبه!! يعني هذا شيء عجيب.

يكفي إن شاء الله شرح هذه المسألة إلى هنا، وهي تنبيهات سريعة، مع أن المطلوب هو أكثر من هذا بلا شك.

والحمد لله رب العالمين.

تفريغ العبد الفقير لرحمة ربه: أبي عبد الله الرتياني